

الباب الثالث

حقيقة البصر في القرآن

بعد التحليل الإصطلاحي في الباب الثاني، فتريد الباحثة ان تشرح وتبين من معنى البصر في

السياق القران بتعدد الموضوعات . في هذا الباب يبحث عن مفهوم البصر في القرآن:

أ. البصر الحاسة سورة الإنسان (2:98\76)

التفسير والبيان:

تريد الباحثة في هذا البحث عن معنى بصر الحاسة أي أعضاء الجسم. قال الله عز وجل في

القرآن الكريم: **إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا** . يقول طنطاوي أنّ لفظ إنا

خلقنا الإنسان بقدرتنا وحدها . " من نطفة " أي : من مَنِيٍّ ، وهو ماء الرجل وماء المرأة ، " أمشاج "

أي : ممتزج أحدهما بالآخر امتزاجا تاما . أو خلقنا من نطفة مختلطة بعناصر متعددة ، تتكون منها حياة

الإنسان بقدرتنا وحمكتنا . وهلقناه كذلك حالة كوننا مرادين ابتلاءه واختباره بالتكاليف ، في مستقبل

حياته حين يكون أهلا لهذه التكاليف . { فَجَعَلْنَاهُ } بسبب إرادتنا ابتلاءه واختباره بالتكاليف مزودات

بوسائل الإدراك ، التي بواسطتها بسمع الحق ويبصره ويستجيب له ويدرك الحقائق والآيات الدالة على

وحدانيتنا وقدرتنا وصدق رسلنا . إدراكا سليما ، متى اتبع فطرته ، وخالف وساوس الشيطان وخطواته .¹

¹ محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، د ب، ص 578

وخص سبحانه السمع والبصر بالذكر ، لأنهما أنفع الحواس للإنسان ، إن عن طريق السمع يتلقى دعوة الحق وما اشتملت عليه من هدايات ، وعن طريق البصر ينظر في الأدلة المتنوعة الكثيرة التي تدل على وحدانية الله - تعالى - وعلى صدق أنبيائه فيما جاءوا به من عند ربهم . وقوله - سبحانه - { إِنَّا هَدَيْنَا السَّبِيلَ } تعليل لقوله : { تَبْتَلِيهِ } ، وتفصيل لقوله - تعالى - { فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا } ، والمراد بالهداية هنا : الدلالة إلى طريق الحق ، والإرشاد إلى الصراط المستقيم . أى : إنا بفضلنا وإحساننا - قد أرشدنا الإنسان إلى ما يوصله إلى طريق الحق والصواب ، وأرشدناه إلى ما يسعده ، عن طريق إرسال الرسل وتزويده بالعقل المستعد للتفكير والتدبر في آياتنا الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا .²

ب. معنى البصر المجازي:

1. بصر الحيرة وللحسرة ، سورة القيامة (75\31 : 7)



كانت هذه السورة مكية وفيها 40 آية و نزلت هذه السورة بعد نزلت سورة القارعة. فسّر سعيد حوى في كتابه الأساس في التفسير أنّ معنى فإذا برق البصر أي: تحيّر فرعاً ثم نقله عن ابن كثير: والمقصود أن الأبصار تنبهر يوم القيامة، وتحشع وتحار، وتذل من شدة الأهوال، ومن عظم ما تشاهده يوم القيامة من الأمور.³

² نفس المرجع ، ص 578

³ سعيد حوى، الأساس في التفسير، (الأزهار: دارالسلام ، 1409-1989م) الطبعة الثانية ، ج 11، ص 6266

لا: أي ليس الأمر كما يدعي المشركون من أنه لا بعث ولا جزاء. أقسم بيوم القيامة: أي الذي كذب به المكذبون. ولا أقسم بالنفس اللوامة: أي لتبعثن ولتحاسبن ولتعاقبن أيها المكذبون الضالون. اللوامة: أي التي إن أحسنت لامت عن عدم الزيادة وإن أساءت لامت عن عدم التقصير. أيحسب الإنسان: أي الكافر الملحد. أن لن نجتمع عظامه: أي ألا نجتمع عظامه لنحييه للبعث والجزاء. بلى قادرين: أي بلى نجمعهما حال كوننا قادرين مع جمعها على تسوية بنانه. على أن نسوي بنانه: أي نجعل أصابعه كخف البعير أو حافر الفرس فلا يقدر على العمل الذي يقدر عليه الآن مع تفرقة أصابعه. كما نحن قادرون على جمع تلك العظام الدقيقة عظام البنان وردها كما كانت كما نحن قادرون على تسوية تلك الخطوط الدقيقة في الأصابع والتي تختلف بين إنسان وإنسان اختلاف الوجوه والأصوات واللهجات. بل يريد الإنسان: أي بإنكاره البعث والجزاء. ليفجر أمامه: أي ليواصل فجوره زمانه كله ولذلك أنكر البعث. يسأل أيان يوم القيامة: أي يسأل سؤال استنكار واستهزاء واستخفاف. فإذا برق البصر: أي دهش وتحير لما رأى ما كان به يكذب. وخسف القمر: أي أظلم بذهاب ضوئه.⁴ فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ وَخَسَفَ الْقَمَرُ وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفْرُ . وتسويفا للتوبة فبين تعالى له وقت مجيئه بقوله {فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ 1} أي عند الموت بأن تحير وانداهش⁵

⁴ جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، المملكة العربية السعودية الخامسة، 1424هـ/2003م، ص 474

⁵ نفس المرجع، ص 474

عند فخر الرازي فيه مسألتان : المسألة الأولى اعلم أنه تعالى ذكر من علامات القيامة في هذا

الموضع أموراً ثلاثة أولها قوله فَإِذَا بَرِقَ الْبَصْرُ قرىء بكسر الراء وفتحها قال الأخفش المكسورة في كلامهم أكثر والمفتوحة لغة أيضاً قال الزجاج برق بصره بكسر الراء يبرق برقاً إذا تحير والأصل فيه أن يكثر الإنسان من النظر إلى لمعان البرق فيؤثر ذلك في ناظره ثم يستعمل ذلك في كل حيرة وإن لم يكن هناك نظر إلى البرق كما قالوا قمر بصره إذا فسد من النظر إلى القمر ثم استعير في الحيرة وكذلك بعل الرجل في أمره أي تحير ودهش وأصله من قولهم بعلت المرأة إذا فاجأها زوجها فنظرت إليه وتحيرت وأما برق بفتح الراء فهو من البريق أي لمع من شدة شخوصه وقرأ أبو السمال بلق بمعنى انفتح وانفتح يقال بلق الباب وأبلقته وبلقته فتحتة.⁶

المسألة الثانية اختلفوا في أن هذه الحالة متى تحصل فليل عند الموت وقيل عند البعث وقيل عند رؤية جهنم فمن قال إن هذا يكون عند الموت قال إن البصر يبرق على معنى يشخص عند معاينة أسباب الموت والملائكة كما يوجد ذلك في كل واحد إذا قرب موته ومن مال إلى هذا التأويل قال إنهم إنما سألوه عن يوم القيامة لكنه تعالى ذكر هذه الحادثة عند الموت والسبب فيه من وجهين الأول أن المنكر لما قال أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (القيامة 6) على سبيل الاستهزاء فليل له إذا برق البصر وقرب الموت زالت عنه الشكوك وتيقن حينئذ أن الذي كان عليه من إنكار البعث والقيامة خطأ الثاني أنه إذا قرب موته وبرق بصره تيقن أن إنكار البعث لأجل طلب اللذات الدنيوية كان باطلاً وأما من قال بأن ذلك

⁶الإمام فخر الدين محمد بن عمر التميمي الرازي الشافعي ، مفاتيح الغيب ، (بيروت : دار الكتب العلمية ، 1421هـ -

إنما يكون عند قيام القيامة قال لأن السؤال إنما كان عن يوم القيامة فوجب أن يقع الجواب بما يكون من خواصه وآثاره قال تعالى إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْابْصَارُ (إبراهيم 41) ⁷

بَرَقَ البصر هذا إخبار عن يوم القيامة ، وقيل : عن حالة الموت ، وهذا خطأ؛ لأن القمر لا

يخسف عند موت أحد ، ولا يجمع بينه وبين الشمس ، وبرق بفتح الراء معناه لمع وصار له برق وقرئ

بكسر الراء ومعناه تحيّر من الفرع ، وقيل : معناه شَخَصَ فيتقارب معنى الفتح والكسر } وَخَسَفَ القمر

{ ذهب ضوءه ، يقال : خسف هو وخسفه الله الخسوف للقمر والكسوف للشمس ، وقيل :

الكسوف ذهاب بعض الضوء ، والخسوف : ذهاب جميعه ، وقيل : بمعنى واحد } وَجَمَعَ الشمس

والقمر { في جمعهما ثلاثة أقوال : أحدها أنهما يجمعان حيث يطلعهما الله من المغرب ، والآخر أنهما

يجمعان يوم القيامة ، ثم يقذفان في النار ، وقيل : في البحر ، فتكون النار الكبرى . الثالث أنهما

يجمعان فيذهب ضوءهما⁸

2. البصر للسؤال عن المعصية، والطاعة، سورة الإسراء (17\50: 36)،

سورة الإسراء (17\50: 36) وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ

أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا (36)

التفسير و البيان

⁷ نفس المرجع، ص 193-192

⁸ ابن جزى، لتسهيل لعلوم التنزيل ، ص 2511

كانت هذه الآية مكية وفيها 111 آية و تنزل هذه السورة بعد تنزل سورة القصص. فسّر سيد قطوب أنّ العقيدة الإسلامية عقيدة الوضوح والاستقامة والنصاعة . فلا يقوم شيء فيها على الظن أو الوهم أو الشبهة : { ولا تقف ما ليس لك به علم . إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً } . وهذه الكلمات القليلة تقيم منهجاً كاملاً للقلب والعقل ، يشمل المنهج العلمي الذي عرفته البشرية حديثاً جداً ، ويضيف إليه استقامة القلب ومراقبة الله ، ميزة الإسلام على المناهج العقلية الجافة . فالتثبت من كل خير ومن كل ظاهرة ومن كل حركة قبل الحكم عليها هو دعوة القرآن الكريم ، ومنهج الإسلام الدقيق .⁹

ومتى استقام القلب والعقل على هذا المنهج لم يبق مجال للوهم والخرافة في عالم العقيدة . ولم يبق مجال للظن والشبهة في عالم الحكم والقضاء والتعامل . ولم يبق مجال للأحكام السطحية والفروض الوهمية في عالم البحوث والتجارب والعلوم . والأمانة العلمية التي يشيد بها الناس في العصر الحديث ليست سوى طرف من الأمانة العقلية القلبية التي يعلن القرآن تبعثها الكبرى ، ويجعل الإنسان مسؤولاً عن سمعه وبصره وفؤاده ، أمام واهب السمع والبصر والفؤاد .¹⁰

إنها أمانة الجوارح والحواس والعقل والقلب . أمانة يسأل عنها صاحبها ، وتسأل عنها الجوارح والحواس والعقل والقلب جميعاً . أمانة يرتعش الوجدان لدقتها وجسامتها كلما نطق اللسان بكلمة ، وكلما روى الإنسان رواية ، وكلما أصدر حكماً على شخص أو أمر أو حادثة . { ولا تقف ما ليس

⁹ سيد قطب، في ظلال القرآن، (دار الشروق)، دب ، ص 2227

¹⁰ نفس المرجع، ص 2227

لك به علم { . . ولا تتبع ما لا تعلمه علم اليقين ، وما لم تثبت من صحته : من قول يقال ورواية تروى . من ظاهرة تفسر أو واقعة تعلق . ومن حكم شرعي أو قضية اعتقادية .¹¹ قال القرطوبى أنّ الأمانة العلمية التي يشيد بها الناس في العصر الحديث ليست سوى طرف من الأمانة العقلية القلبية التي يعلن القرآن تبعثها الكبرى، ويجعل الإنسان مسؤولاً عن سمعه وبصره وفؤده، أمام واهب السمع والفؤاد إنهما أمانة الجوارح والحواس والعقل والقلب. أمانة يسأل عنها صاحبها، وتسأل عنها الجوارح والحواس و العقل والقلب جميعاً . أمانة يرتعش جدران لدقتها وجسامتها كلما نطق اللسان بكلمة، وكلما روى الإنسان رواية، وكلما أصدر حكماً على شخص أو أمر أو حادثة.¹²

ومن ذلك أجر الآخرة وهو خير فإن من ترك المعصية وهو قادر عليها أثابه الله تعالى على ذلك بأحسن ثواب. وقوله تعالى: {ولا تقف 2 ما ليس لك به علم} أي لا تتبع بقول ولا عمل ما لا تعلم، ولا تقل رأيت كذا وأنت لم تر، ولا سمعت كذا وأنت لم تسمع. وقوله تعالى: {إن السمع والبصر والفؤاد} أي القلب {كل أولئك كان عنه 4 مسئولاً} أي لا تقف ما ليس لك به علم، لأن الله تعالى سائل هذه الأعضاء يوم القيامة عما قال صاحبها أو عمل فتشهد عليه بما قال أو عمل مما لا يحل له القول فيه أو العمل.¹³

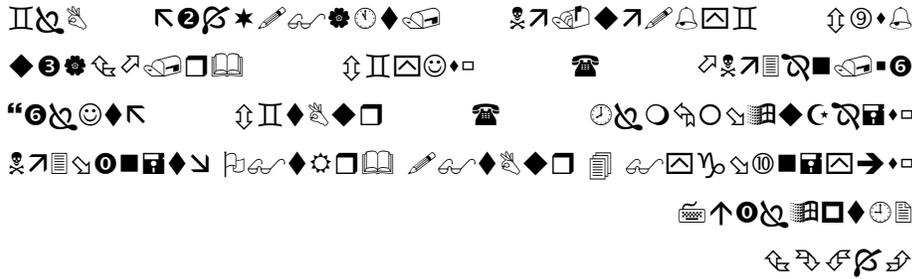
¹¹ نفس المرجع، ص 2227

¹² نفس المرجع، ص 2227

¹³ جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم

ومعنى أولئك أي تلك المذكورات من السمع والبصر والفؤاد. وقوله تعالى: {ولا تمش في الأرض مرحاً} أي خيلاء وتكبراً أي مما حرم تعالى وأوصى بعدم فعله المشي في الأرض مرحاً أي تكبراً واختيالاً، لأن الكبر حرام وصاحبه لا يدخل الجنة، وقوله {إنك لن تحرق الأرض} أي برجليك أيها المتكبر لأن المتكبر يضرب الأرض برجليه اعتزازاً واهتزازاً، ولن تبلغ الجبال طولاً مهما تعاليت وتناولت فإنك كغيرك من الناس لا تحرق الأرض أي تتقبحها أو تقطعها برجليك ولا تبلغ علو الجبال فلذا أترك مشية الخيلاء والتكبر، لأن ذلك معيب ومنقصة ولا يأتيه إلا ذو حماقة وسفه. وقوله تعالى: {كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروهاً} أي كل ذلك المأمور به.¹⁴

3. بصر للأدب، سورو الأنعام (6\55: 104)



التفسير والبيان

قال الجزائر السياق من لفظ قد جاءكم أي للناس، إذن "بصائر من ربكم" وهي آيات القرآن

الموضحة لطريق النجاة {فمن أبصر} بها وهي كالعين المبصرة {فلنفسه} إبصاره إذ هو الذي ينجو

¹⁴ نفس المرجع، ص 153

ويسعد { ومن عمي } فلم يبصر فعلى نفسه عماه إذ هي التي تملك وتشقى وقل لهم يا رسولنا { ما أنا عليكم بحفيظ } أي بوكيل مسئول عن هدايتكم.¹⁵

وفي الآية الثانية (105) يقول تعالى: { وكذلك نصرنا الأيات } أي بنحو ما صرفناها من

قبل في هذا القرآن نصرها كذلك هداية مريدي الهداية والراغبين فيها أما غيرهم فسيقولون درست وتعلمت من غيرك حتى يجرموا الإيمان بك وبرسالتك والعباد بالله تعالى، وفي الآية الثالثة (106) يأمر الله تعالى رسوله باتباع ما يوحى إليه من الحق والهدى، والإعراض عن المشركين المعاندين الذين يقولون درست حتى لا يأخذوا بما آتيتهم به ودعوتهم إليه من آيات القرآن الكريم إذ قال تعالى له: { اتبع ما أوحى إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين } ، وفي الآية الرابعة (107) يسلي الرب تعالى رسوله ويخفف عنه آلام إعراض المشركين عن دعوته ومحاربتة فيها فيقول له: { ولو شاء الله ما أشركوا }² أي لو يشاء الله عدم إشراكهم لما قدروا على أن يشركوا إذا فلا تحزن عليهم، هذا أولاً، وثانياً { وما جعلناك عليهم حفيظاً } تراقبهم وتحصي عليهم أعمالهم وتجزيهم بها، وما أرسلناك عليهم وكيلًا تتولى هدايتهم بما فوق طاقتك { إن عليك إلا البلاغ } وقد بلغت إذاً فلا أسى ولا أسف.¹⁶

{ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ } أي آيات وبراهين يبصر بها ويستدل ؛ جمع بصيرة وهي

الدلالة. قال الشاعر : جاؤوا بصائرهم على أكتافهم ... وبصيرتي يعدو بها عتدٌ وآي يعني بالبصيرة

الحجة البينة الظاهرة. ووصف الدلالة بالجيء لتفخيم شأنها ؛ إذ كانت بمنزلة الغائب المتوقع حضوره

¹⁵ نفس المرجع، ص 81

¹⁶ نفس المرجع، ص 81

للنفس ؛ كما يقال : جاءت العافية وقد انصرف المرض ، وأقبل السعود وأدبر النحوس . { فَمَنْ أَبْصَرَ
فَلِنَفْسِهِ { الإبصار : هو الإدراك بحاسة البصر ؛ أي فمن استدل وتعرف فنفسه نفع . { وَمَنْ عَمِيَ
فَعَلَيْهَا } لم يستدل ، فصار بمنزلة الأعمى ؛ فعلى نفسه يعود ضرر¹⁷ .

قال وهبه الزهيلي في تفسيره قد جاءكم كما يجيء الغائب المنتظر تلکم البصائر من الحجج
والبراهين و الآيات الكونية، والأدلة العقلية التي تنير البصائر وتكشف الحجب والستائر، جاتكم من
ربكم الذي تعهدكم في الصغر والكبر والضعف والقوة فمن أبصر فلنفسه ومن أساء فعليها: إن أحسنتم
أحسنتم لأنفسكم ، وإن أسأتم فلها . وما أنا عليكم بحافظ ولا بربيب، كل نفس بما كسبت رهينة، وما
علیّ إلا البلاغ وعلى الله الحساب.¹⁸ كما قال الجزائري في كتابه عزّف معنى بصائر من ربكم أي البصائر
جمع بصيرة: والمراد بما هنا الآيات المعرفة بالحق المثبتة له بطريق الحجج العقلية فهي في قوة العين المبصرة
لصاحبها.¹⁹

الخلاصة هي فمن أبصر الحق وآمن بدعوة الإسلام والقرآن فلنفسه أبصر، وإياها نفع، ومن
عمي عنه فعلى نفسه الوبال وإياها ضرر.

4. بصر للعمي ، سورة الجاثية (45\65 : 23)

¹⁷ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، ص 57

¹⁸ وهبه الزهيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، دار الفكر: المعاصر، دت، ص 191

¹⁹ الجزائري، أيسر....، ص 81

سورة الجاثية (45\65 :23): أَفَرَأَيْتَ مَنْ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَى

سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ (23)

التفسير و البيان

كانت هذه الآية مكية وفيها 37 آية و تنزل هذه السورة بعد تنزل سورة الدخان و خصوصا

من الآية ثلاثة و عشرين ذكر المراغي في كتاب تفسيره عن سباب النزول هذه الآية ²⁰: قال مقاتل:

نزلت في أبي جهل .ذلك أنه طاف بالبيت ذات ليلت ومعه الوليد ابن المغيرة، فتحدثا في شأن النبي

صلى الله عليه وسلم، فقال ابو جهل: والله غلى لأعلم أنه صادق، فقال له مه، ومادلك على ذلك؟

قال ياأبا عبد شمس كنا نسميه في صباح الصادق الأمين، فلما تم عقله وكمل رشده نسميه الكذاب

الخائن، والله إني لأعلم أنه صادق، قال فما يمنعك أن تبصقه وتؤمن به؟ قال: تتحدث عنى بتات قريش

أنى اتبعت يتيم أبي طالب من أجل كسرة، واللات والعزى إن اتبعته أبدا فنزلت ((وختم على سمعه و

قلبه))²¹

من بيان السابق ترى الباحثة في هذ البحث عن معنى بصر للعمي أي الناس الذى ينكر

أمر الآخرة . والحقيقة عمي بالأبصار التي شاهدوا بها جمال ربوبيته فعرفوه كما فسّر المراغي من اللفظ

²⁰ المراغى، التفسير المراغى، (مصر : مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، 1946م\1365هـ) ص 157

²¹ نفس المرجع، ص 157

"جعل على بصره غشاوة" أي تمنع أن يبصر حجج الله وآيته في الآفاق والأنفس فيستدل بها على وحدانيته ويعلم بها أن لا إله غيره.

فسر التلقي أنّ لفظ " جعل على بصره غشاوة " أي ظلمة على عينيه فلا يبصر الآيات والدلائل. أفلا تذكرون: أي أفلا تتذكرون أيها الناس فتتعظون ، الخطاب هنا لقوم المنافقين والكافرين. أفرايت -أيها الرسول- من اتخذ هواه إلهًا له، فلا يهوى شيئًا إلا فَعَلَهُ، وأضَلَّهُ اللهُ بعد بلوغ العلم إليه وقيام الحجة عليه، فلا يسمع مواعظ الله، ولا يعتبر بها، وطبع على قلبه، فلا يعقل به شيئًا، وجعل على بصره غطاء، فلا يبصر به حجج الله؟ فمن يوفقه لإصابة الحق والرشد بعد إضلال الله إياه؟ أفلا تذكرون -أيها الناس- فتعلموا أنّ مَنْ فَعَلَ اللهُ به ذلك فلن يهتدي أبدًا، ولن يجد لنفسه وليًا مرشدًا؟ والآية أصل في التحذير من أن يكون الهوى هو الباعث للمؤمنين على أعمالهم.²²

نرى هذا الفريق من الناس ينكر أمر الآخرة ، ويشك كل الشك في قضية البعث والحساب ، ويتعنّت في الإنكار وفي طلب البرهان بما لا سبيل إليه في هذه الأرض . والقرآن يوجه هذا الفريق إلى الدلائل القائمة الحاضرة على صدق هذه القضية .²³ على بيان قبله ترى الكاتبة أنّ المراد عينيه لا يبصر تشتمل على عين البصيرة. و أسباب عمي البصيرة ثلاثة : إرساله الجوارح في معاصي الله ، والتصنع بطاعة الله ، والطمع في خلق الله ، فعند عماها يتوجه العبد للخلق ويعرض عن الحق.

²² مجموعة من العلماء (عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي)، التفسير الميسر،

(موقع مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف)، <http://www.qurancomplex.com>

²³ سيد قطب، في ظلال القرآن، (بيروت: دار الشروق 1413 هـ - 1992م)، ج 6، ص 393

وفي "التأويلات النجمية" : كما قال تعالى أرسل إليهم للمؤمنين الطيب الذي أنزل الداء
فأنزل معه الدواء كما قال تعالى : { وَنُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ } (الإسراء : 82)
الذين يصدقون الأطباء ويقبلون الدواء فلم يصدقوهم ولم يقبلوا الدواء ظلماً على أنفسهم فصار الدواء
داء والشفاء وباء كما قال تعالى : { وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا } (الإسراء : 82) فلما لم يكونوا أهل
الرحمة أدركتهم اللعنة الموجبة للصمم والعمى لقوله تعالى : { أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى
أَبْصَارَهُمْ } (محمد : 23).²⁴

والخلاصة بين أحوال الكافرين وذكر جناياهم على أنفسهم و ذكر الله أن الله قد أضلهم

على علم بجاهلهم، وأنه ختم على سمعهم وقلوبهم وجعل على بصرهم غشاوة

5. بصر للتعجيل، سورة النحل (16\70 : 77)

سورة النحل: وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ

إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (77)

التفسير والبيان:

كانت هذه السورة المكية وفيها 128 آية و تنزل هذه السورة بعد تنزل سورة الكهف. في

تفسير منير البلاغة: كلمح البصر: تشبيه مرسل مجمل، والمناسبة هذه الآية بعد أن مثل تعالى الأصنام

أو الكفار بالأبكم العاجز، ومثل نفسه بالامر بالعدل وهو على صراط مستقيم ولا يكون كذلك إلا

²⁴ نفس المرجع، ص 52-55

إذا كان كامل العلم والقدرة، أردف ذلك ببيان كمال علمه وقدرته. أما كمال العلم فهو قوله تعالى :
 وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ . وما كمال العلم فهو قوله : وما أمر الساعة إلا كلمح البصر. ومن
 مظاهر كمال قدرته وحكمته : خلق الإنسان في أطواره المختلفة ، وتمكين الطير من الطيران في الجو،
 وهذا وما يأتي بعده من دلائل التوحيد.²⁵

يقول الألوسي عن هذه الآية أنّ الله سبحانه وتعالى علم ما غاب في السموات والأرض، وما
 شأن القيامة في سرعة مجيئها إلا كنظرة سريعة بالبصر، بل هو أسرع من ذلك. إن الله على كل شيء
 قدير.²⁶ { وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ
 شَيْءٍ قَدِيرٌ }

قوله تعالى : { وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } تقدم معناه. وهذا متصل بقوله { إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
 وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ } [النحل : 74] أي شرع التحليل والتحریم إنما يحسن ممن يحيط بالعواقب والمصالح
 وأنتم أيها المشركون لا تحيطون بها فلم تتحكمون. { وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمَحِ الْبَصَرِ } وتجاوزون فيها
 بأعمالكم. والساعة هي الوقت الذي تقوم فيه القيامة ؛ سميت ساعة لأنها تفجأ الناس في ساعة فيموت
 الخلق بصيحة. واللمح النظر بسرعة ؛ يقال لمح لمحاً ولحاناً. ووجه التأويل أن الساعة لما كانت آتية ولا
 بد جعلت من القرب كلمح البصر. وقال الزجاج : لم يرد أن الساعة تأتي في لمح البصر ، وإنما وصف

²⁵ وهبة الزهيلي، التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، (دار الفكر: المعاصر) ص 191

²⁶ مجموعة من العلماء عدد من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبد الله بن عبد المحسن التركي ، التفسير الميسر ، موقع

سرعة القدرة على الإتيان بها ؛ أي يقول للشيء كن فيكون. وقيل : إنما مثل بلمح البصر لأنه يلمح السماء مع ما هي عليه من البعد من الأرض. وقيل : هو تمثيل للقرب ؛ كما يقول القائل : ما السنة إلا لحظة ، وشبهه. وقيل : المعنى هو عند الله كذلك لا عند المخلوقين ؛ دليله قوله : { إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا. وَنَزَاهُ قَرِيبًا } . [المعارج : 6 - 7]. { أَوْ هُوَ أَقْرَبُ } ليس "أو" للشك بل للتمثيل بأيهما أراد الممثل. وقيل : دخلت لشك المخاطب. وقيل : "أو" بمنزلة بل. { إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ } تقدم.

27

"وَلِلَّهِ" تعالی خاصة لا لأحد غيره استقلال ولا اشتراكا { غَيْبِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ } أي جميع الأمور الغائبة عن علوم المخلوقين بحيث لا سبيل لهم إلى إدراكها حسا ولا إلى فهمها عقلاً ، ومعنى الإضافة إليهما التعلق بهما إما باعتبار الوقوع فيهما حالاً أو مآلاً واما باعتبار الغيبة عن أهلها ، ولا حاجة إلى تقدير هذا المضاف ، والمراد بيان الاختصاص به تعالی من حيث المعلوماتية حسبما ينبىء عنه عنوان الغيبة لا من حيث المخلوقية والمملوكية وإن كان الأمر كذلك في نفس الأمر ، وفيه كما في إرشاد العقل السليم اشعار بأن علمه تعالی حضوري وأن تحقق الغيوب في نفسها بالنسبة إليه سبحانه وتعالى ولذلك لم يقل تعالی : والله علم غيب السموات والأرض ، وقيل : المراد بغيب السموات والأرض ما في

²⁷ أبو عبد الله محمد بن أحمد بن بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، (الرياض: دار عالم الكتب ، المملكة العربية السعودية) 1423 هـ / 2003 م ، ج 4 ، ص 150

قوله سبحانه : { إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنزِّلُ الْغَيْثَ } [لقمان : 34] الآية ، وقيل : يوم القيامة ، ولا يخفى أن القول بالعموم أولى .²⁸

{ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ } التي هي أعظم ما وقع فيه الممارسة من الغيوب المتعلقة بالسموات والأرض من حيث الغيبة عن أهلها أو ظهور آثارها فيهما عند وقوعها أي وما شأنها في سرعة المجيء ، { إِلَّا كَلَمَحٍ الْبَصَرِ } أي كرجع الطرف من أعلا الحدقة إلى أسفلها . وفي البحر اللوح النظر بسرعة يقال : لمح لمحاً ولمحاً إذا نظره بسرعة { أَوْ هُوَ } أي أمرها { أَقْرَبُ } أي من ذلك وأسرع بأن يقع في بعض أجزاء زمانه فإن رجع الطرف من أعلا الحدقة إلى أسفلها وإن قصر حركة أينية لها هوية اتصالية منطبقة على زمان له هو كذلك قابل للانقسام إلى أبعاض هي أزمنة أيضاً بل بأن يقع فيما يقال به آن وهو جزء غير منقسم من أجزاء الزمان كأن ابتداء الحركة ، و { أَوْ } قال الفراء : بمعنى بل . ورد في البحر بأن بل للإضراب وهو لا يصح هنا بقسيمه ، أما الإبطال فلأنه يؤل إلى أن الحكم السابق غير مطابق فيكون الأخبار به كذباً والله سبحانه وتعالى منزه عن ذلك ، وأما الانتقال فلأنه يلزمه التناهي بين الأخبار بكونه مثل لمح البصر وكونه أقرب فلا يمكن صدقهما معا ويلزم الكذب المحال أيضاً . وأجيب باختيار الثاني ولا تنافي بين تشبيهه في السرعة بما هو غاية ما يتعارفه الناس في بابيه وبين كونه في الواقع أقرب من ذلك ، وهذا بناء على أن الغرض من التشبيه بيان سرعته لا بيان مقدار زمان وقوعه وتحديدته

²⁸ شهاب الدين محمود ابن عبدالله الحسيني الألويسي، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دب ، ص 275

ويحتمل أن يكون من فوق ومن أسفل كناية عن الإحاطة من جميع الجوانب كأنه قيل : إذ جاءوكم محيطين بكم كقوله تعالى : { يَغْشَاهُمْ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ } [العنكبوت :

55] { وَإِذْ زَاغَتِ الْإِبْصَارُ } عطف على ما قبله داخل معه في حكم التذكير أي حين مالت الأبصار عن سننها وانحرفت عن مستوى نظرها حيرة ودهشة . وقال الفراء : أي حين مالت عن كل شيء فلم تلتفت إلا إلى عدوها { وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ } أي خافت خوفاً شديداً وفزعته فزعاً عظيماً لا أنها تحركت عن موضعها وتوجهت إلى الحناجر لتخرج .³¹

أخرج ابن أبي شيبة عن عكرمة أنه قال في الآية : إن القلوب لو تحركت وزالت خرجت نفسه ولكن إنما هو الفزع بالكلام على المبالغة ، وقيل : القلب عند الغضب يندفع وعند الخوف يجتمع فيتقلص فيلتصق بالحنجرة وقد يفضي إلى أن يسد مخرج النفس فلا يقدر المرء أن يتنفس ويموت خوفاً ، وقيل : إن الرئة تنتفع من شدة الفزع والغضب والغم الشديد وإذا انتفخت ربت وارتفع القلب بارتفاعها إلى رأس الحنجرة .

خصت عن مكانها فلولا أنه ضاق الحلقوم عنها أن تخرج لخرجت ، وفي مسند الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري قال : قلنا يا رسول الله هل من شيء نقوله فقد بلغت القلوب الحناجر؟ قال : نعم اللهم استر عوراتنا وآمن روعاتنا قال : فضرب الله تعالى وجوه أعدائه بالريح فهزمهم الله تعالى بالريح ، والخطاب في قوله تعالى : { وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَ } لمن يظهر الإيمان على الإطلاق ، والظنون

³¹ شهاب الدين محمود ابن عبد الله الحسيني الألويسي، روح المعان..... ، ص 275

جمع الظن وهو مصدر شامل للقليل والكثير ، وإنما جمع للدلالة على تعدد أنواعه ، وقد جاء كذلك في أشعارهم أنشد أبو عمرو في كتاب الألحان :

إذا الجوزاء أردفت الثريا ظننت بآل فاطمة الظنوننا . أي تظنون بالله تعالى أنواع الظنون المختلفة فيظن المخلصون منكم الثابتون في ساحة الإيمان أن ينجز سبحانه وعده في إعلاء دينه ونصرة نبيه صلى الله عليه وسلم ، ويعرب عن ذلك ما سيحي عنهم من قولهم ³² . { وَمِنْ أَسْفَلٍ مِنْكُمْ } أي : ومن أسفل الوادى من جهة المغرب ، وهم قريش ومعهم أحابيشهم وحلفاؤهم وقوله : { وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ } معطوف على ما قبله ، داخل معه في حيز التذكير أي : واذكروا وقت أن زاغت أبصاركم ، ومالت عن كل شئ حولها ، وصارت لا تنظر إلا إلى أولئك الأعداء . يقال زاغ البصر يزيغ زيغا وزيغانا إذا مال وانحرف . ويقال - أيضا : زاغ البصر ، إذا مل وتعب بسبب استدامة شخوصه من شدة الهول . وقوله { وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ } بيان آخر لما أصاب المسلمين من بلاء بسبب إحاطة جيوش الأحزاب بهم ³³ .

من بيان السابق إن قيام الساعة (أي حدوث وقت القيامة) في اسرع من لمح البصر دليل واضح على قدرة الله التامة، فهو سبحانه القدير على كل شئ، وهو الذي يقول للشئ: كن فيكون.

6. بصرللختم و للغفلة، سورة النحل (16\70:108)

أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعِهِمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ (108)

³² نفس المرجع . ، ص 419

³³ محمد سيد طنطاوي ، التفسير الوسيط، موقع التفاسير، ص 3401

وجاءت آيات من سورة النحل وقوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَارِهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ}، وقوله تعالى: {وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ}، وقوله تعالى: {الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا}، والآيات بمثل ذلك كثيرة.

وقد قدّمنا أن هذا الطبع والختم على القلوب، وكذلك الأغلال في الأعناق، والسدّ من بين أيديهم ومن خلفهم، أن جميع تلك الموانع المانعة من الإيمان، ووصول الخير إلى القلوب أن الله إنما جعلها عليهم بسبب مسارعتهم لتكذيب الرسل، والتمادي على الكفر، فعاقبهم الله على ذلك، بطمس البصائر والختم على القلوب والطبع عليها، والغشاوة على الأبصار؛ لأن من شؤم السيئات أن الله جلّ وعلا يعاقب صاحبها عليها بتماديه على الشرّ، والحيلولة بينه وبين الخير جزاه الله بذلك على كفره جزاءً وفاقاً.³⁴

ثم زاد الصابوني ختم على قلوبهم وأسماعهم وأبصارهم فجعل عليها غلافاً بجميع لا تدعن للحق ولا تسمعه ولا تبصره. بعد ذكر الله عن القوم الكافرين الذين لا يهديهم ثم وعد الله أنهم الغافلون أي الكاملون في الغفلة إذ أغفلتهم الدنيا عن تدبير العواقب.³⁵

{وإن الله لا يهدي القوم الكافرين} هذا وعيد منه تعالى سبق به علمه وأن القوم الكافرين يجرمهم التوفيق للهداية عقوبة لهم على اختيارهم الكفر وإصرارهم عليه. وقوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ

³⁴ محمد الأمين بن محمد بن المختار الجكني، أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن، ص 7

³⁵ محمد علي الصابوني، صفوات التفاسير، (بيروت: دار الفكر)، ج 2 ص 123

طبع الله على قلوبهم { وعلى سمعهم وأبصارهم أولئك الذين توعدهم الله بعدم هدايتهم هم الذين طبع على قلوبهم فهم لا يفهمون { وسمعهم } فهم لا يسمعون المواعظ ودعاء الدعاء إلى الله تعالى { وأبصارهم } فهم لا يبصرون آيات الله وحججه في الكون، وما حصل لهم من هذه الحال سببه الإعراض المتعمد وإثارة الحياة الدنيا، والعناد، والمكابرة، والوقوف في وجه دعوة الحق والصد عنها. وقوله { وأولئك هم الغافلون } أي عمّا خلقوا له، وعمّا يراد لهم من نكال في الآخرة وعذاب أليم. وقوله تعالى { لا جرم } أي حقاً { أنهم في الآخرة هم الخاسرون } المغبونون حيث وجدوا أنفسهم في عذاب أليم دائم لا يخرجون منه ولا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون.³⁶

7. بصر للنظر، سورة الملك (67\77: 4، 3)

الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَافُوتٍ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ (3) ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ (4)

كانت هذه الآية مكية وفيها 30 آية و تنزل هذه السورة بعد تنزل سورة الطور. { ثم ارجع البصرَ كرتين } أي : كرره رجعتين مع الأولى ، فتكون ثلاثاً ، أو : بالأولى ، وقيل : لم يُرد الاقتصار على مرتين ، بل أراد به التكرير بكثرة ، أي : كرر نظرك ودققه مراراً ، هل ترى خللاً أو عيباً في السموات ؟ وجواب الأمر : { ينقلب } ؛ يرجع { إليك البصرُ خاسئاً } ؛ ذليلاً ، أو : بعيداً مما تريد ، وهو حال من البصر ، { وهو حَسِيرٌ } أي : كليل لطول المعادة ، وكثرة المراجعة ، ولم يحصل ما

³⁶ أبي بكر جابر الجزائري، أيسار التفاسير لكلام العلي الكبير و بها حشها نهر الخير على التفاسير، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم

قصد.³⁷ عند الكرمانى قوله فارجع البصر 3 وبعده ثم أرجع البصر كرتين 4 أى مع الكرة الأولى وقيل

هى ثلاث مرات أى ارجع البصر وهذه مرة ثم أرجع البصر كرتين فمجموعهما ثلاث مرات قلت
يحتمل أن يكون أربع مرات لأن قوله ارجع يدل على سابقه مرة .³⁸ أى إنه تعالى الذى أوجد و أبدع
السموات السبع المتطابقت بعدها فوق بعد كل سماء منفصلة عن الأخرى كما جاء فى حديث الإسراء
وغيره، يجمع بينها نظام الجاذبية، ما تشاهد ايها الناظر المتؤمل فى مخلوقات الرحمن من تناقض وتباين
وعدم تباين، واردة طرفك فى السماء. وتامل هل تشاهد فيها من شقوق وصدوع وهذا دليل على
تعظيم خلقها، وسلامتها من العيوب، وكون خالقها ذا قدرة تامة وعلم دقيق شامل محتكم متقن.

(ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا، وهو حسير) أى ثم ردد البصر ودقق مرة

بعد مرة مهما تكاثرت المرات، يرجع إليك البصر صاغرا ذليلا عن رؤية شئى من الخلل أو العيب فى

خلق السماء، وهو كليل عيى من كثرة التأمل ومعاودة النظر، ومعنى الآية بعبارة أخرى : إنك أيها

الإنسان المخاطب لو كررة البصر مهما كررت، لا نقلب إليك أو رجع إليك البصر ذليلا عن أن يرى

عييا أوخللا.³⁹

³⁷ أحمد بن محمد بن المهدي بن عجيبة الحسينى الإدريسى الشاذلى الفاسى أبو العباس ، البحر المديد، (بيروت: دار النشر /

دار الكتب العلمية. 2002 م. 1423 هـ) ص 135

³⁸ محمود بن حمزة بن نصر الكرمانى ، أسرار التكرار فى القرآن، (القاهرة : دار الاعتصام ، 1396هـ) الطبعة الثانية تحقيق :

عبد القادر احمد عطا، ص 206

³⁹ وهبه الزهيبلى، المنير..... ص 11-12

ذَكَرَ الصَّابُونِي تِلْكَ الْآيَةَ تَتَضَمَّنَتْ عَنِ الْإِطْنَابِ بِتَكَرُّرِ الْجُمْلَةِ مَرَّتَيْنِ زِيَادَةً فِي التَّذْكَيرِ وَالتَّنْبِيهِ فَارْجِعِ الْبَصَرَ هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ، ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبْ إِلَيْكَ الْبَصَرُ خَاسِئًا وَهُوَ حَسِيرٌ وكذلك ما كنا في أصحاب السعير....فسحقا لأصحاب السعير⁴⁰

ج. الناس الذين يعتبرون بأولى الأبصار ، سورة ص (38\38 : 45) آل عمران (3\89 : 13) ، سورة الحشر (59\105 : 2) .

سورة الحشر (59\105 : 2) : هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَدَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ . كانت هذه الآية مدنية وفيها 30 آية و تنزل هذه السورة بعد تنزل سورة البينة .

سورة آل عمران (3\89 : 13) :

﴿أَلَمْ يَكُنْ لَهُ الْبَيْتُ الْمَقَامُ الَّذِي بَارَأَ فِيهِ النَّاسَ وَالْحَيَّةَ وَمَا كَانَ لَهُ فِي الْإِنْسَانِ مِنْ حِصَّةٍ مِمَّا يَدْعُونَ بِهِ مِنَ الْحَقِّ بِغَيْرِ الْحَدِّ وَالْحُدُودِ﴾

سورة ص (38\38 : 45) :

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا الصَّابِرِينَ بِالْأَسْوَاقِ وَالْبُيُوتِ وَالْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ يُنَادُوا يَا حَرِيصٌ وَمَا صَبْرُكُمْ إِلَّا لَعْنَةُ اللَّهِ لِيَإِذِّنَ لِمَنْ يَشَاءُ اللَّهُ إِنَّكُمْ كُنْتُمْ عَادِلِينَ﴾

⁴⁰ على الصابوني، صفحات.....ص 397

التفسير والبيان:

واليقين منها على أربع شعب: على تبصرة الفطنة وتأول الحكمة وموعظة العبرة وسنة الأولين. فمن تبصر في الفطنة تبينت له الحكمة ، و من تبينت له الحكمة عرف العبرة ، و من عرف العبرة فكأنما كان في الأولين.⁴¹ معناه : أولي القوة في الطاعة ، وأولي الأبصار⁴² . تقدير اة ية كأنه تعالى قال فاصبر على ما يقولون واذكر عبادنا داود إلى أن قال واذكر عبادنا إبراهيم أي واذكر يا محمد صبر إبراهيم حين ألقى في النار وصبر إسحق للذبح وصب يعقوب حين فقد ولده وذهب بصره ثم قال أُولَى الأيْدِي وَالْأَبْصَارِ واعلم أن اليد آلة لأكثر الأعمال والبصر آلة لأقوى الإدراكات فحسن التعبير عن العمل باليد وعن الإدراك بالبصر إذا عرفت هذا فنقول النفس الناطقة الإنسانية لها قوتان عاملة وعاملة أما القوة العاملة فأشرف ما يصدر عنها طاعة الله وأما القوة العاملة فأشرف ما يصدر عنها معرفة الله وما سوى هذين القسمين من الأعمال والمعارف فكالعبث والباطل فقله أُولَى الأيْدِي وَالْأَبْصَارِ إشارة إلى هاتين الحالتين.⁴³

⁴¹ علي بن نايف الشحود ، الحضارة الإسلامية بين أصالة الماضي وآمال المستقبل، الباحث في القرآن والسنة، ص 172
⁴² أبو المظفر منصور بن محمد بن عبد الجبار السمعاني، تفسير القرآن ، (الرياض : دار الوطن). 1418هـ- 1997م، ج 4،

والبصيرة تعني " قوة الإدراك و الفطنة و العلم و الخبرة " لذا فإن الحكماء و العقلاء يرون

ببصيرتهم وينظرون للأمور ليس بمجرد النظر بالعين بل يتطلعون لمدى أبعاد من ذلك إنهم يبصرون
ويثبتون على الحق لأن لدى قلوبهم نظرة ثابتة تحميهم من الضلال .

ويقول الله عز وجل "فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ " وهنيئاً

لمن تبصر بقلبه قبل فوات الأوان لأن الرجوع في كثير من الأمور يكاد أن يكون مستحيلاً وبالتأكيد لن
يفيد ذلك الندم الناتج عن ضعف البصيرة الذي يجعلنا نرى السراب ماء والوهم حلم نسعى لتحقيق و
النظر بالعين المجردة من البصيرة يسلط الرؤية على زاوية واحدة ويجعل النظرة سطحية فلا يكون تقييم
الأمر دقيقاً ولا يمكن أن توفى قدرها وغالباً ما يساء الاختيار أما البصير بالقلب يستطيع التمييز بين
الأمر دون أن تختلط عليه أو تتشابك مع بعضها وبطبيعته البصيرية لا ينظر لبريق الإناء وزهوه إنما
يتطلع لقيمة ما بداخله .. فهو على يقين بأن " ليس كل ما يلمع ذهب ولا كل ما يبرق فضه " . وهنا
نستشف الفرق بين أعمى البصر وكفيف البصيرة فكم من كفيف تبصر و" رأى ببصيرته فاهتدى " وكم
من بصير نظر وكأنه أعمى .⁴⁴

إننا في كل يوم بل كل لحظة نتخذ قرارات مصيرية فهل هي بصيرية ؟ أم أنها اتخذت بناءً

على النظر فقط ؟؟ ثمّة أمور كبيره في حياتنا لا بد أن تكون مبنية على أساس البصيرة المتين بدلاً من أن
تنهار وتقع من حافة البصر ... يبنى الإنسان حياته و يهدمها إذا لم يدرك الفرق بين البصر و البصيرة و

⁴⁴ الجزائري، أيسر التفاسير ... ج 4، ص 453

قد نجد هنا سبباً .. لقول " الحب أعمى " فهو يرى ولا يرى .. فنظرة الحب ضريبة و نظرة القلب بصيرة . نسأل الله أن ينير لنا بصيرتنا .. ويرزقنا حسن النظر فيما يرضيه .. وإذا كان طلب العلم فريضة، عينية أو كفائية وكان الأردباد مطلوباً. **وَأَذْكُرُ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ** (45) المراد بلولي الأيدي في هذه الآية عند الجزائري أي أصحاب القوى في العبادة. والأبصار أي البصائر في الدين بمعرفة الأسرار والحكم وهم أنبياءنا نبي **إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ**.⁴⁵

وذكر هؤلاء الثلاثة ذكر اقتداء وائتساء بهم ، فأما إبراهيم عليه السلام فيما عرف من صبره على أذى قومه ، وإلقائه في النار ، وابتلائه بتكليف ذبح ابنه ، وأما ذكر إسحاق ويعقوب فاستطرد بمناسبة ذكر إبراهيم ولما اشتركا به من الفضائل مع أبيهم التي يجمعها اشتراكهم في معنى قوله : (أولي الأيدي والأبصار) ليقنتدي النبي (صلى الله عليه وسلم) بثلاثتهم في القوة في إقامة الدين والبصيرة في حقائق الأمور .

وابتدىء بإبراهيم لتفضيله بمقام الرسالة والشريعة ، وعطف عليه ذكر ابنه وعطف على ابنه ابنه يعقوب . وقرأ الجمهور) واذكر عبادنا (بصيغة الجمع على أن) إبراهيم (ومن عطف عليه كله عطف بيان . وقرأ ابن كثير) عبدنا (بصيغة الإفراد على أن يكون) **إِبْرَاهِيمَ** (عطف بيان من) عبدنا (ويكون) **إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ** (عطف نسق على) عبدنا (. ومآل القراءتين متحد . و) الأيدي (: جمع يد بمعنى القوة في الدين . كقوله تعالى : (**وَالسَّمَاءَ بَنِينَا بِأَيْدٍ فِي سُورَةِ الذَّارِيَاتِ**) . و الأبصار

(: جمع بصر بالمعنى المجازي ، وهو النظر الفكري المعروف بالبصيرة ، أي التبصر في مراعاة أحكام الله تعالى وتوحي مرضاته .⁴⁶

د. خصوصيات في البصر سورة ق(50\34: 22)، و سورة يونس (10\51: 43)

سورة ق(50\34: 22): لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ

حَدِيدٌ (22). سورة يونس (10\51: 43) : وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ (43)

التفسير والبيان:

وبين المراغي في كتابه قد جعل سبحانه الغفلة غطاء، غطى به الجسد كله، أو غشاوة غشى

بها عينيه فلا يبصر شيئاً، فإذا كان يوم القيامة تيقظ وزالت عنه الغفلة وغطاؤها، فأبصر ما لم يكن يبصره.⁴⁷

كرة فأكون من المحسنين بلى قد جاءتك آياتي فكذبت بها واستكبرت وكنت من الكافرين وهذا كثير في القرآن فصل وقوله تعالى ونحشره يوم القيامة أعمى قال رب لم حشرتني اعمى . وقد كنت بصيرا اختلف فيه هل هو من عمى البصيرة او من عمى البصر والذين قالوا هو من عمى البصيرة إنما حملهم على ذلك قوله اسمع بهم وابصر يوم ياتوننا وقوله لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك

⁴⁶ الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير. الطبعة التونسية، (تونس: دار سحنون للنشر 1997 م)، ج 23 ، ص

غطاءك فبصرك اليوم حديد وقوله يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين وقوله لترون الجحيم ثم لترونها عين اليقين ونظائر هذا مما يثبت لهم الرؤية في الاخرة كقوله تعالى وتراهم يعرضون عليها خاشعين من الذل ينظرون من طرف خفي وقوله يوم يدعون الى نار جهنم دعا هذه النار التي كنتم بها تكذبون افسحر هذا ام انتم لا تبصرون وقوله رأى المجرمون النار فظنوا انهم واقعوها و سأل الذين رجحوا انه منعمى البصر قالوا السياق لا يدل الا عليه لقوله قال رب لم حشرتني اعمى وقد كنت بصيرا وهو لم يكن بصيرا في كفره قط بل قد تبين له حينئذ انه كان في الدنيا في عمى عن الحق فكيف يقول وقد كنت بصيرا وكيف يجاب بقوله كذلك اتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تنسى بل هذا الجواب فيه تنبيه على انه من عمى البصر وانه جوزي من جنس عمله فإنه لما اعرض عن الذكر الذي بعث الله به رسوله وعميت عنه بصيرته أعمى الله بصره يوم القيامة وتركه في العذاب كما ترك الذكر في الدنيا فجازاه على عمى بصيرته عمى في الاخرة وعلى تركه ذكره تركه في العذاب.⁴⁸

وقال تعالى ومن يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد لهم اولياء من دونه ونحشهم يوم القيامة على وجوههم عميا وبكما وصما وقد قيل في هذه الاية ايضا انهم عمى وبكم وصم عن الهدى كما قيل في قوله ونحشهم يوم القيامة اعمى قالوا لانهم يتكلمون يومئذ ويسمعون ويبصرون ومن نصرانه العمى والبكم والصمم المضاد للبصر والسمع والنطق قال بعضهم هو عمى وصمم وبكم مقيد لا مطلق فهم عمى عن رؤية ما يسرهم وسماعه ولهذا قد روى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال لا يرون شيئا

يسرهم وقال آخرون هذا الحشر حين تتوفاهم الملائكة يخرجون من الدنيا كذلك فإذا قاموا من قبورهم الى الموقف قاموا كذلك ثم انهم يسمعون ويصرون فيما بعد وهذا مروى عن الحسن .

وقال آخرون هذا إنما يكون إذا دخلوا النار واستقروا فيها سلبوا الاسماع والابصار والنطق حين يقول لهم الرب تبارك وتعالى احسبوا فيها ولا تكلمون فحينئذ ينقطع الرجاء وتبكم عقولهم فيصيرون بأجمعهم عميا بكما صما لا يبصرون ولا يسمعون ولا ينطقون ولا يسمع منهم الا الزفير والشهيق وهذا منقول عن مقاتل والذين قالوا المراد به العمى عن الحجة إنما مرادهم انهم لا حجة لهم ولم يريدوا ان لهم حجة هم عمى عنها بل هم عمعن الهدى كما كانوا في الدنيا فان العبد يموت على ما عاش عليه ويعت على ما مات عليه وبهذا يظهر أن الصواب هو القول الاخر وانه عمى البصر فإن الكافر يعلم الحق يوم القيامة عيانا ويقر بما كان يجحده في الدنيا فليس هو اعمى عن الحق يومئذ وفصل الخطاب ان الحشر هو الضم والجمع ويراد به تارة الحشر الموقف القيامة كقوله النبي صلى الله عليه وسلم " انكم محشورون الى الله حفاة عراة غرلا " وكقوله تعالى " وإذا الوحوش حشرت " وكقوله تعالى وحشرناهم فلم تغادر منهم احدا ويراد به الضم والجمع إلى دار المستقر فحشر المتقين جمعهم وضمهم الى الجنة وحشر الكافرين جمعهم وضمهم الى النار.⁴⁹

قال تعالى يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدا وقال تعالى احشروا الذين ظلموا أزواجهم وما

كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم الى صراط الجحيم فهذا الحشر هو بعد حشرهم بالموقف وهو

⁴⁹ ابن القيم ، التفسير القيم ، ص 41-43

حشرهم وضمهم الى النار لانه قد اخبر عنهم انهم قالوا يا ويلنا هذا يوم الدين هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون ثم قال تعالى احشروا الذين ظلموا وازواجهم وهذا الحشر الثاني وعلى هذا فهم ما بين الحشر الاول من القبور الملقوف والحشر الثاني من الموقف الى النار فعند الحشر الاول يسمعون ويصرون ويجادلون ويتكلمون وعند الحشر الثاني يحشرون على وجوههم عميا وبكما وصما فلكل موقف حال يليق به ويقتضيه عدل الرب تعالى وحكمته فالقرآن يصدق بعضه بعضا ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا⁵⁰

قال الألوسي ما ملخصه : قوله : { بَلِ ادْرَاكِ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ } إضراب عما تقدم على وجه يفيد تأكيده وتقديره . والمعنى : بل تتابع علمهم في شأن الآخرة ، التي ما ذكر من البعث حال من أحوالها ، حتى انقطع وفنى ، ولم يبق لهم علم بشيء مما سيكون فيها قطعا ، مع توفر أسبابه ، فهو ترق من وصفهم بجهل فاحش إلى وصفهم بجهل أفحش وجوز أن يكون " ادراك " بمعنى استحكم وتكامل .

ويبدو لنا أن الآية الكريمة تتسع للقولين ، على معنى أن المشركين اضمحل علمهم بالآخرة لكفرهم بها في الدنيا ، فإذا ما بعثوا يوم القيامة وشاهدوا العذاب ، أيقنوا بحقيقتها ، وتكامل علمهم واستحكم بأن ما كانوا ينكرونه في الدنيا . قد صار حقيقة لا شك فيها ، ولا مفر لهم من عذابها .

⁵⁰ نفس المرجع، ص 41-43

ومن الآيات التي توضح هذا المعنى قوله - تعالى - : { لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا فَكَشَفْنَا

عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ } أى : علمك بما كنت تنكره في الدنيا قد صار في نهاية القوة

والوضوح . وقرأ ابن كثير وأبو عمرو : (بل أدرك علمهم في الآخرة) - بسكون اللام من بل . وهمزة

قطع مفتوحة مع سكون الدال في " أَدْرَكَ " فهو بزنة أفعل . أى : بل كمل علمهم في الآخرة ، وذلك

بعد أن شاهدوا أهوالها ، ورأوها بأعينهم ، وقد كانوا مكذابين فيها في الدنيا . وقوله - سبحانه - : { بَلْ

هُمْ فِي شَكٍّ مِّنْهَا بَلْ هُمْ مِّنْهَا عَمُونَ } بيان لأحوالهم في الدنيا .

أى : أن هؤلاء المشركين كانوا في الدنيا يشكون في الآخرة ، بل كانوا في عمى عنها ، بحيث

لا يفتحون بصائرهم أو أبصارهم ، عما قال لهم الرسول صلى الله عليه وسلم بشأنها . فأنت ترى أن

الآية الكريمة قد انتقلت في تصوير هؤلاء المشركين بالآخرة ، من حالة شنيعة إلى حالة أخرى أشد

منها في الشناعة والجحود .⁵¹

وحكى ابن جرير ثلاثة أقوال في المراد بهذا الخطاب في قوله: { لَقَدْ كُنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا

فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ } أحدها: أن المراد بذلك الكافر . رواه علي بن أبي طلحة،

عن ابن عباس . وبه يقول الضحاك بن مزاحم وصالح بن كيسان . والثاني: أن المراد بذلك كل أحد من

بر وفاجر؛ لأن الآخرة بالنسبة إلى الدنيا كاليقظة والدنيا كالمنام . وهذا اختيار ابن جرير، ونقله عن

حسين بن عبد الله بن عبيد الله بن عباس . والثالث: أن المخاطب بذلك النبي صلى الله عليه وسلم . وبه

⁵¹ محمد سيد طنطاوي، التفسير الوسيط، دت ، ص 3233

يقول زيد بن أسلم، وابنه. والمعنى على قولهما: لقد كنت في غفلة من هذا الشأن (2) قبل أن يوحى إليك، فكشفنا عنك غطاءك بإنزاله إليك، فبصرك اليوم حديد.⁵²

والظاهر من السياق خلاف هذا، بل الخطاب مع الإنسان من حيث هو، والمراد بقوله: { لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا } يعني: من هذا اليوم، { فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ } أي: قوي؛ لأن كل واحد يوم القيامة يكون مستبصراً، حتى الكفار في الدنيا يكونون يوم القيامة على الاستقامة، لكن لا ينفعهم ذلك. قال الله تعالى: { أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَنَا } [مريم: 38]، وقال تعالى: { وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُو رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَارْجِعْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ } [السجدة: 12]⁵³.

{ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمَىٰ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ } (43) إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (44) وَيَوْمَ يَخْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (45) .

فقال: { وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ } بأسماعهم الظاهرة فلا ينفعهم، { أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ } يريد: سمع القلب، { وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ } . { وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ } بأبصارهم الظاهرة، { أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمَىٰ } يريد عمى القلب، { وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ } وهذا تسلية من الله عز وجل لنبيه

⁵² أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي سامي بن محمد سلامة، تفسير القرآن العظيم ، (دار طيبة :

1420هـ - 1999 م) ، الطبعة الثانية ، ص 401

⁵³ نفس المرجع، ص 401

صلى الله عليه وسلم يقول: إنك لا تقدر أن تسمع من سلبته السمع، ولا أن تهدي من سلبته البصر، ولا أن توفق للإيمان من حكمت عليه أن لا يؤمن. { إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا } لأنه في جميع أفعاله متفضل عادل، { وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ } بالكفر والمعصية. قوله تعالى: { وَيَوْمَ يَخْشُرُهُمْ } قرأ حفص بالياء، والآخرون بالنون، { كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ } قال الضحاك: كأن لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من النهار. وقال ابن عباس: كأن لم يلبثوا في قبورهم إلا قدر ساعة من النهار، { يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ } يعرف بعضهم بعضا حين بعثوا من القبور كمعرفتهم في الدنيا، ثم تنقطع المعرفة إذا عاينوا أهوال القيامة. وفي بعض الآثار: أن الإنسان يعرف يوم القيامة من بجنبه ولا يكلمه هيبة وحشية. (1)

{ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ } والمراد من الخسران: خسران النفس، ولا شيء أعظم منه.⁵⁴ استمرار المشركين في العناد والمجاهدة علته أنهم لم يدوقوا ما توعدهم الله به من العذاب إذ لو ذاقوا لآمنوا ولكن لا ينفعهم حينئذ الإيمان. وَمِنْهُمْ مَّنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمِنْهُمْ مَّنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ (40) وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلِي وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنْتُمْ بَرِيئُونَ مِمَّا أَعْمَلُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَعْمَلُونَ (41) وَمِنْهُمْ مَّنْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ (42) وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَفَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يُبْصِرُونَ (43) إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ (44)

⁵⁴ أبو محمد الحسين بن مسعود البغوي ، معالم التنزيل حقيقه وخرجه أحاديثه محمد عبد الله النمر - عثمان جمعة ضميرية

ومنهم من يؤمن به: أي من أهل مكة المكذبين بالقرآن من يؤمن به مستقبلاً. وريك أعلم بالمفسدين: وهم دعاة الضلالة الذين يفسدون العقول والقلوب والجملة تهديد لهم. وإن كذبوك: أي استمروا على تكذيبك.

ومنهم من يستمعون إليك: أي إذا قرأت القرآن. ومنهم من ينظر إليك: أي يبصر ويشاهد آيات النبوة وأعلام صدقك، ولا يهتدي إلى معرفة أنك رسول الله لأن الله تعالى حرمه ذلك. معنى الآيات: ما زال السياق في تقرير نبوة النبي صلى الله عليه وسلم قال تعالى في خطاب رسوله لئسليه ويصبره على عدم إيمان قومه مع ظهور الأدلة وقوة البراهين {ومنهم من يؤمن به} أي بالقرآن وبالنبي⁵⁵.

هـ. الترهيب في ترك البصر، سورة الأعراف (7\39: 179)

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ

المناسبة هذه الآية مع آية قبله يعنى بعد أن ضرب الله المثل للمنسلخ من الدين الخارج منه ليتعظ أئلك الضالين ويتركوا ضلالهم ويعودوا إلى الحق، بين أسباب الهدى والضلال من إستعمال العقل

⁵⁵ جابر بن موسى بن عبد القادر بن جابر أبو بكر الجزائري، أيسر التفاسير لكلام العلي الكبير، (المدينة المنورة: مكتبة العلوم والحكم، السعودية الخامسة، 1424هـ/2003م)، ص 376

والحواس واستخدام هداية الفطرة في سلوك أحد السبلين : الخير والشر كما قال تعالى : (وهديناه
النجدين) البلد 10\90.56

عند قریش الشهاب أنّ هذه الآية عن المهجة لا يصيل الهداية على الإنسان و إضال الله
عليهم.⁵⁷ ينبغي لإنسان العصري أن يكون أكثر من الحكمة والتعقل ، ولكن في الواقع كثير من الناس
لا تضاهي في تقدم الإنسانية على التفكير والإنجازات التكنولوجية .وعقيبة لذلك من الاختلات التي
تحدث أزمة رحني . ونظر خاطي من الحياة يؤدي إلى بعض الأفكار الخاطئة في الاستجابة للواقع . في
آيات كثيرة ، القرآن يدعو إلى التفكير في آيات الله عن نفسه.

بيّن إمام الغزالي في بيان الطريق الذي يعرف به الإنسان عيوب نفسه إنّ الله عز و جل إذا
أراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه فمن كانت بصيرته نافذة لم تخف عليه عيوبه فإذا عرف العيوب
أمكنه العلاج ولكن أكثر الخلق جاهلون بعيوب أنفسهم يرى أحدهم القذى في عين أخيه ولا يرى
الجدع في عين نفسه فمن أراد أن يعرف عيوب نفسه فله أربعة طرق الأول أن يجلس بين يدي شيخ
بصير بعيوب النفس مطلع على خفايا الآفات ويحكمه في نفسه ويتبع إشارته في مجاهدته وهذا شأن
المريد مع شيخه والتلميذ مع أستاذه فيعرفه أستاذه وشيخه عيوب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز
في الزمان وجوده الثاني أن يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا فينصبه رقبيا على نفسه ليلاحظ أحواله

⁵⁶ وهبة الزهيلي، المير...، ص 167

⁵⁷ محمد قریش الشهاب، tafsir almisbah،، ص 378

وأفعاله فما كره من أخلاقه وأفعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة ينبهه عليه فهكذا كان يفعل الأكياس

والأكابر من أئمة الدين .⁵⁸

الطريق الثالث أن يستفيد معرفة عيوب نفسه من السنة أعدائه فإن عين السخط تبدي المساويا ولعل انتفاع الإنسان بعدو مشاحن يذكره عيوبه أكثر من انتفاعه بصديق مدهن يثنى عليه ويمدحه ويخفى عنه عيوبه إلا أن الطبع مجبول على تكذيب العدو وحمل ما يقوله على الحسد ولكن البصير لا يخلو عن الانتفاع بقول أعدائه فإن مساويه لا بد وأن تنتشر على ألسنتهم .

الطريق الرابع أن يخالط الناس فكل ما رآه مذموما فيما بين الخلق فليطالب نفسه به وينسبها إليه فإن المؤمن مرآة المؤمن فيرى من عيوب غيره عيوب نفسه ويعلم أن الطباع متقاربة في اتباع الهوى فما يتصف به واحد من الأقران لا ينفك القرن الآخر عن أصله أو عن أعظم منه أو عن شيء منه فليتفقد نفسه ويظهرها من كل ما يذمه من غيره وناهيك بهذا تأديبا فلو ترك الناس كلهم ما يكرهونه من غيرهم لاستغنوا عن المؤدب , قيل لعيسى عليه السلام من أدبك قال ما أدبني أحد رأيت جهل الجاهل شينا فاجتنبته وهذا كله حيل من فقد شيخا عارفا ذكيا بصيرا بعيوب النفس مشفقنا نصحا في الدين فارغا من تهذيب نفسه مشتغلا بتهذيب عباد الله تعالى ناصحا لهم فمن وجد ذلك فقد وجد

الطبيب فليلازمه فهو الذي يخلصه من مرضه وينجيه من الهلاك الذي هو بصدد .⁵⁹ قال وهبة الزهيلي

أن أسباب استحقاق أهل النار دخول جهنم: هي أنهم لا يستعملون عقولهم استعمالا صحيحا

⁵⁸ إمام الغزالي, إحياء علوم الدين, (جدة: الحرمين, 1957), ص. 62

⁵⁹ نفس المرجع., ص 63

للوصول إلى حقيقة الإيمان، وإدراك لذة السعادة الدنيوية والأخروية و هم أيضا لا ينظرون بأعينهم نظر تبصر واعتبار وإمعان في آيات الله الكونية وآياته القرآنية التي ترشدتهم إلى ما فيه سعادتهم.⁶⁰

فسر البيضاوي أنّ لفظ { ولقد ذرأنا } خلقنا { لجهنم كثيرا من الجن والإنس } يعني

المصرين على الكفر في علمه تعالى { لهم قلوب لا يفقهون بها } إذ لا يلقونها إلى معرفة الحق والنظر في

دلأله { ولهم أعين لا يبصرون بها } أي لا ينظرون إلى ما خلق الله نظر اعتبار { ولهم آذان لا

يسمعون بها } الآيات والمواعظ سماع تأمل وتذكر { وأولئك كالأنعام } في عدم الفقه والإبصار

للاعتبار والاستماع للتدبر أو في أن مشاعرهم وقواهم متوجهة إلى أسباب التعيش مقصورة عليها { بل

هم أضل } فإنها تدرك ما يمكن لها أن تدرك من المنافع المضارن وتجتهد في جلبها ودفعها غاية جهدها

وهم ليسوا كذلك بل أكثرهم يعلم أنه معاند فيقدم على النار { أولئك هم الغافلون } الكاملون في

الغفلة.⁶¹

من المعلوم يفكر في خلق العالم هو تركزت على عقل ، و ذكر الله سبحانه وتعالى هو تركز

على القلب . عند بهار الدين الإنسان أن يجمع بين الحقيق تين يسمى به في القرآن الكريم مع أول

الألباب. أنّ التركيز على عقل في الفكر ، أما القلب هو مزيد من التركيز على معنى للذكرى .⁶² إذا قد

يعرف أنّ قلب وعقلا كلهما القدرة الفكرية بنفسهما. و استدلل العلماء بقوله تعالى لهم قلوب لا يفقهون

⁶⁰ وهبه الزهيلي، المنير..... ص 169

⁶¹ البيضاوي، تفسير البيضاوي، ص 76

⁶² بهار الدين، Paradigma Psikologi Islam، (يغيكرتا: فستكا فلاجر، 2004)، ص 133

بما على أن محل العلم هو القلب، لأنه تعالى نفى الفقه والفهم عن قلوبهم في معرض الذم، مما يدل على أن محل الفهم والفقه هو القلب. أن المراد بالهدى في هذه الآية الهدى الخاص الذي هو التفضل بالتوفيق إلى دين الحق، لا الهدى العام، الذي هو إيضاح الحق.